دعوة جلالة الملك المعظم إلى وحدة الإرادة العربية.. حين تصنع الأمم أحداث التاريخ

إنّ للتاريخ سننًا لا تتبدّل، وشواهد لا تخطئها عين البصير؛ فما كانت الأمم لتبلغ من العزّ مبلغها، ولا لتُحدث في مجرى الزمان أثرها، بكثرة عددها، أو وفرة مواردها، أو اتساع ديارها، ما لم تجتمع لها إرادةٌ تُوحّد صفوفها، وبصيرةٌ تُحسن تدبير شؤونها، وعزيمةٌ تنقلها من موضع التأثّر بالأحداث إلى مقام التأثير فيها. وكم من أمم ملكت أسباب القوة فأضاعها التفرّق، وكم من دول تباينت مصالحها، ثم أدركت أنّ فيما يجمعها من المصالح والمصير ما هو أعظم مما يفرّقها، فاجتمعت كلمتها، وتساندت مواقفها، وتحوّلت من أطراف تتلقى نتائج الأحداث إلى قوى تُسهم في صنعها وتوجيه مساراتها، حتى غدتْ مواقفها فصولًا في التاريخ، تتدارس الأجيال آثارها، وتستحضر قراراتها.

وتتجلّى الرؤية الملكية السامية، بما اجتمع فيها من عمق الحكمة، وسموّ المقاصد، واستشراف مآلات الأحداث وصناعة المستقبل، في دعوة حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك البلاد المعظم حفظه الله ورعاه، في لقائه بصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة ولي العهد رئيس مجلس الوزراء حفظه الله؛ دعوةٌ لا تقف عند وحدة الشعار، بل تمضي إلى وحدة القرار، ولا ترضى للعرب موقف الانتظار، بل تدعوهم إلى الإسهام في صنع المسار. فأيُّ غناء في وفرة الموارد إذا تفرّقت الإرادات؟ وأيُّ رجاء في كثرة الأقوال إذا تناقضت المواقف والقرارات؟ إنما تُعرف الأمم بما تُنجزه من أعمال، لا بما ترفعه من أقوال، وبما تصنعه من أفعال، لا بما تُردّده من آمال، وبما تُحدثه في التاريخ من تحوّلٍ وانتقال، لا بما تنتظره من تقلّب الأحوال.

وإذا قلّبت صحائف تاريخ البحرين، وجدت لهذه الدعوة أصلًا في نهج آل خليفة الكرام، وشاهدًا من مآثر رجالتها العظام؛ فقد كان لصاحب العظمة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة طيّب الله ثراه، الفضلُ من بعد الله سبحانه وتعالى في تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية، فلم يترك الفكرة أمنيةً تُروى، ولا دعوةً تُتلى، بل سعى إلى تحقيقها، وأوفد الوفود لعرضها حتى امتدّت المشاورات إلى سائر الدول الشقيقة، حتى أثمرت الجهود قيام المجلس عام 1981؛ فانتقلت الفكرة من الرأي إلى القرار، ومن التطلّع إلى الإعمار، ومن حسن الجوار إلى وحدة المسار.

وللتاريخ في ذلك شواهد تُروى، ومواقف لا تُنسى؛ ففي عام 1973 أدرك الملك فيصل بن عبدالعزيز، ومعه قادةٌ عرب، أنّ الموارد إذا اجتمعت إرادات أصحابها غدت قوةً ذات اقتدار، فكان التنسيق النفطي العربي حدثًا هزّ الأسواق، وبدّل في حسابات الكبار. فلم يكن النفط يومئذٍ سلعةً تُباع وتُشترى فحسب، بل صار بقرار عربيٍّ مشترك ورقةً تأثير تطرقّ أبواب السياسة قبل أبواب التجارة، وتُثبتُ أنّ للعرب من أسباب القوّة ما يجعل لمواقفهم وزنًا، ولقراراتهم شأنًا، ولإرادتهم أثرًا في موازين القوى الدولية. وفي أوروبا، أدرك شومان وأديناور، بعد حربين أكلتا الأخضر واليابس، أنّ السلام لا يُصان بالأقوال، بل بتشابك المصالح والأعمال، فحوّلا الفحم والصلب من أسباب للصراع إلى دعائم الوئام، حتى أثمر ذلك اتحادًا أوروبيًا غدا قوةً اقتصاديةً ذات شأن واقتدار، قبل أن يخفت فيه صوت الحزم، ويعلو صخب اليسار، أولئك الحمقى النافعون الذين يرفعون لواء المادية، ثم يستظلون بثيوقراطية وأيديولوجيات أخرى تناقض مبادئهم، ويخدمون من يستغلهم ثم ينقلب عليهم، كما جرى لحزب توده الشيوعي في إيران؛ فتتراجع المواقف، وتتصدّع الإرادات، ويبلغ الخذلان حتى الولايات المتحدة في حربها على إيران، عدوّ العالم المتحضّر المحبّ للازدهار والنماء. وهكذا اختلفت الأزمان، وتباينت الميادين، وبقيت العبرة على مرّ الدهور والأجيال: أنّ القوة لا تكمن فيما تملكه الأمم من أموال، بل فيما تُحسن جمعه من إرادات، وصياغته من قرارات، وتحقيقه من أفعال.

وهنا تتجلّى حكمة دعوة سيدي جلالة الملك المعظم، ويتّضح من التاريخ وجه الاعتبار؛ فليست العبرة بما تملكه الأمة من مقدرات، بل بما تجمعه من إرادات، وما تُحسن صنعه من قرارات. وما أحوج العرب اليوم إلى كلمة تجمع ولا تُفرّق، وعزيمة تبني ولا تهدم، وموقف يصنع السلام ولا ينتظر منّ الآخرين إقراره؛ فإنّ الأمم لا تخلّدها أمجادٌ تُروى، ولا شعاراتٌ تُتلى، وإنما أعمالٌ تبقى، ومواقفُ تُقتدى، وإرادةٌ تصنع التاريخ بدلًا من أن تقف على أبوابه تنتظر ما يُملى.



○ بقلم:

عيسى بن عبدالرحمن الحمادي.

عيسى الكبير وحكاية اللبنة الأولى.. 15 نوفمبر ذكرى وضع أساس مدرسة الهداية الخليفية

من مقاعد الدرس تبدأ نهضة الأمم؛ فعلى ألواحها يخطّ الناشئ حروفه الأولى، ومن قاعاتها تنطلق الأجيال إلى ميادين العلم والعمل، ولكل صرحٍ عريقٍ يومٌ وُضعت فيه لبنته الأولى، فكان بدايةً لحكايةٍ لا تنتهي فصولها. وفي الخامس عشر من نوفمبر تحلّ الذكرى السادسة بعد المائة لوضع حجر الأساس لمدرسة الهداية الخليفية للبنين في المحرق، أول مدرسة نظامية أُقيمت في البحرين، في يوم مشهودٍ وضعَ فيه المغفور له بإذن الله تعالى صاحب العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حاكم البحرين وتوابعها (1869 – 1932م)، طيب الله ثراه، يده المباركة على الحجر الأول في أساسها، إيذانًا بميلاد عهدٍ جديدٍ من عهود العلم والمعرفة في هذه الأرض الطيبة.

ويأتي استحضار هذه الذكرى في عامٍ استثنائيٍّ من أعوام الوطن، هو عام 2026م الذي تفضّل حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، ملك البلاد المعظم، بتسميته «عام عيسى الكبير»، وفاءً لذكرى صاحب العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة. وفي سلسلة المقالات التي أخصّصها لهذا العام، أقف اليوم عند محطة مضيئة من محطات عهده المبارك، هي محطة التعليم النظامي الذي انطلقت بذوره الأولى عام 1919م، ثم ارتفع أول صروحه على أرض المحرق، فكان لعظمته في ذلك فضل الرعاية والمباركة والعطاء، وفضل السبق الذي جعل البحرين رائدةً في محيطها الخليجي.

السَّبْق في ميدان العلم

شهد عهد صاحب العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة تحوّلًا كبيرًا في المشهد التعليمي بقيام التعليم النظامي، فقد أدرك عظمته أهمية التعليم لمستقبل الوطن، وحرص على أن يكون السبق للبحرين في هذا الميدان، ليقوم فيها مجتمعٌ متينٌ يتوق إلى العلم والمعرفة. وكانت الرحلة التي قام بها نجله الشيخ عبدالله بن عيسى بن علي آل خليفة إلى بريطانيا عام 1919م قد تركت في نفسه أثرًا كبيرًا، حتى أورد أحد التقارير الحكومية أنه عاد من زيارته «مليئًا بالحماس من أجل التعليم».

وفي 5 ديسمبر 1919م، الموافق 13 ربيع الأول 1338هـ، وُضعت البذرة الأولى لمسيرة التعليم النظامي في البحرين، حين انعقدت «الجلسة التمهيدية لمشروع التعليم الحديث» في المحرق، في دار ولي العهد آنذاك صاحب العظمة الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة، طيب الله ثراه، بحضور أخيه الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة، والشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، ونخبة من أعيان البلاد. ودُوّنت محاضر تلك الجلسة وما تلاها من اجتماعات في كرّاسٍ عُرف باسم «المضبطة».

ولم يخلُ الطريق من عقبات؛ فقد أبدى البعض عدم رضاهم عن المشروع، وكتبوا إلى صاحب العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة يدعونه إلى عدم المضي فيه، غير أن الحاكم الحكيم ثبت على دعمه، ووقف إلى جانب المشروع منذ بدايته، كما وقف إلى جانبه القاضي الشيخ قاسم بن مهزع، الذي تولّى الرد على المعترضين، وهو ما أشار إليه الدكتور عبدالحميد المحادين في كتابه «الخروج من العتمة: خمسون عامًا لاستشراف الأفق». وأظهر ذلك الثبات بُعد نظر عظمته والتزامه برعاية العلم والفكر، إيمانًا منه بالدور المحوري الذي يؤديه التعليم في تقدّم الأمم وازدهارها.

مرسومٌ يُسطّر بماء الذهب

تتابعت الجلسات حتى انعقدت الجلسة الأولى للمشروع في 4 يناير 1920م بدار الشيخ عبدالله بن عيسى بن علي آل خليفة في المحرق، ودُعي إليها 50 من وجهاء البحرين، حضر منهم 47، وفي ذلك الاجتماع أحضر مندوبٌ عن صاحب العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة مرسومًا لرئيس اللجنة، تلا يوسف كانو على الحاضرين فحواه، وجاء فيه بعد البسملة: «من عيسى بن علي آل خليفة إلى حضرة الأجلاء الكرام الذوات المجتمعين فيما يُرضي رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعدُ فإني أُنهي إليكم ابتهاجي العظيم وشكري الجزيل على اجتماعكم واتفاقكم في سبيل هذا العمل الخيري الجليل، سائلًا المولى جل شأنه أن يوفق الجميع لما فيه رضاه يوم لقاه، إنه سميعٌ مجيب».

إنه مرسومٌ يُسطَّر بماء الذهب، فقد جاء في لحظة فاصلة ليمنح المشروع الوليد مباركة الحاكم وتأييده، ويحسم ما أثير حوله. وفي الاجتماع ذاته اختير أعضاء اللجنة التي عُرفت باسم «الإدارة الخيرية للتعليم»، برئاسة الشيخ عبدالله بن عيسى بن علي آل خليفة، وعضوية نخبة من رجالات البحرين وأعيانها، ثم عُقد اجتماعٌ آخر في 9 يناير 1920م نوقش فيه القانون الأساسي للتعليم، وفكرة تأسيس أول مدرسة نظامية، ووُضعت مسودةٌ لقانون التعليم من 80 بندًا، عُرضت على القاضي الشيخ قاسم بن مهزع لإبداء الرأي فيها، طلبًا لدعم علماء الشرع، ثم أقرّتها الإدارة الخيرية للتعليم، وعُيّن الشيخ حافظ وهبة القادم من مصر مديرًا للمدرسة، وضمّ الفريق عبدالعزيز الدوري من العراق، والدكتور عبدالرزاق المولوي من الهند للعناية بالصحة المدرسية.



○ صاحب العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة.



○ طلبة في أحد الفصول الدراسية في مدرسة الهداية الخليفية للبنين في المحرق عام 1926م.

وشرعت اللجنة تعمل جاهدةً لتأسيس أول مدرسة نظامية في المحرق، عُرفت باسم «مدرسة الهداية الخليفية للبنين»، وإلى حين تشييد مبناها اتخذ القائمون عليها مدرسة علي بن إبراهيم الزياني القريبة من منزله في منطقة حالة بوماهر مقرًا مؤقتًا لها. وتقرر أن يكون موقع البناء في أرض شمال المحرق تعود إلى صاحب العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، الذي تبرّع بها لمصلحة المشروع، بحسب ما أورده الدكتور عبدالحميد المحادين، فيما أشارت الشيخة مي بنت محمد آل خليفة إلى أن الأرض جاءت من قِبَل نجله الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة، وفي الروايتين معًا شاهدٌ على أن البيت الحاكم كان سبّاقًا إلى البذل في سبيل العلم.



○ بقلم: الدكتور حمد إبراهيم العبدالله.

يوم الحجر الأول

وصلت إلينا تفاصيل ذلك اليوم بقلم الحاج محمد صالح يوسف خنجي، كاتب الإدارة الخيرية للتعليم، الذي أرسل عددًا من المقالات إلى الصحف العربية ليُعلمها بما تمّ من منجزٍ في البحرين، ومنها رسالةٌ إلى صحيفة «الحياة الجديدة» وصف فيها حفل وضع حجر الأساس، وقال في مستهلها: «هذه الجزيرة المباركة الطيبة تحكمها في هذا العهد حكومةٌ عربيةٌ وحاكمها الحالي هو جلالة الملك العادل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة الذي جلس على عرش حكومتها أكثر من 50 سنة»، ثم ذكر أنه «قام بإصلاحات جليلة أهمها تأسيس مجلس بلدي، ومستشفىً، ومدرسة علمية، وعهد برئاسة إدارة الجميع إلى أحد أولاده الشاب الغيور الذكي الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة». ويروي خنجي أن رئيس الإدارة أعلن أن الاحتفال بوضع حجر الأساس الأول سيكون يوم الاثنين الرابع من شهر ربيع الأول 1339هـ، الموافق 15 نوفمبر 1920م، «فنُصب فيه سرادقٌ فخمٌ فُرشت فيه السجاجيد الثمينة، ووُضعت فيه المساند العربية النفيسة»، ودُعي إليه الأكابر والعظماء من العائلة الكريمة وغيرهم من الأهالي، «وعلى وجوههم سيماء الفرح والسرور». وفي الساعة الثالثة وصل صاحب العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وفي معيته ولي عهده صاحب العظمة الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة، ونجله الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة، فاستقبله الحضور بما يليق بعظمته من الإجلال، وقابلهم بما عُهد فيه من البِشر والحفاوة والترحاب.

ثم أقبل عظمته على نجله رئيس الإدارة الشيخ عبدالله بن عيسى بن علي آل خليفة، وأخبره بأن يبدأ بوضع الحجر الأول في أساس المدرسة قبل التوجّه إلى السرادق، فأجابه نجله: «على أمركم يا مولاي»، فتقدّم عظمته إلى حيث يُوضع الأساس، ووضع يده المباركة على الحجر الأساسي، وأمر بتمكينه في الأرض، وناوله البنّاء قليلًا من الإسمنت فوضعه بين الحجرين. ويحدّد خنجي موضع ذلك الحجر الأثري بدقة، فيقول إنه يقع «في أساس سور المدرسة الجنوبي، من ناحيته الغربية على بُعد ذراعين من زاوية السور»، ثم قصد عظمته السرادق وتبعه الجميع، فأُديرت فناجين القهوة، وتواصلت مراسم الاحتفال في أجواءٍ عامرةٍ بالبهجة والسرور.

ولنا أن نتصوّر ذلك المشهد على أرض المحرق قبل أكثر من قرن: حاكمٌ يتقدّم بنفسه ليضع حجرًا في أساس مدرسة، كأنه يضع حجر الأساس لمستقبل وطنٍ بأكمله، وحوله أبناؤه ورجالات البلاد وأهلها، يشهدون ميلاد صرحٍ سيخرج منه رجالٌ يحملون أمانة العلم جيلًا بعد جيل. وقد أُنشدت يوم افتتاح المدرسة أنشودةٌ حفظت لنا روح تلك المرحلة وأملها، ومن أبياتها: «يا ربنا يا ذا المنن.. أكثر مدارس الوطن، وأجزل الأجر لمن.. يعين في هذا السنن»، ومنها في الدعاء لعظمته: «يا ربنا يا ذا الجلال.. يا من تسامى في الكمال، احفظ لنا يا متعال.. خير مليكٍ في أوال».

صرحٌ يرتفع وقافلةٌ تمضي

وبعد وضع الحجر الأول، استُقدم العمال للعمل على تشييد مبنى المدرسة، وجُلبت الحجارة لبنائها، واستُوردت الأخشاب من الهند، وتحديدًا من منطقة ملیبار الساحلية الواقعة جنوب غرب شبه القارة الهندية. وتطلّع أهل البحرين إلى إشهار تجربتهم في إنشاء أول مدرسة نظامية في ربوع العالم العربي، فكتبوا الرسائل والمقالات التي استعرضت الخطوات والجهود المبذولة، وأبرزت دور صاحب العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وأبنائه في دعمها، وأظهرت فخر الأهالي واعتزازهم بهذا المنجز، وبرزت في كتاباتهم صورة عظمته قائدًا ملهمًا في الفكر والتطوير، حتى أخذت بقية دول الخليج العربي تسير على خطى البحرين في هذا المجال. وغدت الهداية الخليفية مقصدًا لكبار الزائرين، ومنهم الأديب أمين فارس الريحاني، الذي زارها في أثناء رحلته إلى البحرين، يُرافقه الشيخ عبدالله بن عيسى بن علي آل خليفة، وألقى المربي أحمد العمران كلمة ترحيبية بالضيف. ثم تواصلت قافلة التعليم، فافتُتحت مدرستان للبنين في المنامة والرفاع، وتطلّع القائمون على التعليم إلى تأسيس مدرسة في الحد وأخرى في الخميس. وفي عام 1928م تأسّست أول مدرسة نظامية للبنات في البحرين والخليج العربي، وفي العام ذاته ابتُعث سبعةٌ من الشباب البحريني إلى الجامعة الأمريكية في بيروت بمبادرةٍ من الشيخ عبدالله بن عيسى بن علي آل خليفة، الذي أصبح في سبتمبر 1930م وزيرًا للمعارف، لتكتمل في عهد عيسى الكبير ملامح منظومة تعليمية تتسع للبنين والبنات، وتمتد من المدرسة إلى الجامعة.

في عام عيسى الكبير.. من الهداية إلى آفاق المستقبل

لقد غدت اللبنة التي وضعها صاحب العظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، طيب الله ثراه، في أساس مدرسة الهداية الخليفية منطلقًا لنهضة تعليمية تتسع عامًا بعد عام، وتمضي بالبحرين من كتاتيبها الأولى إلى مدارسها الحديثة وجامعاتها. واليوم، وقد احتفت مملكة البحرين قبل سنوات بمئوية التعليم النظامي، تشهد مسيرة التعليم في العهد الزاهر لحضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، ملك البلاد المعظم، حفظه الله ورعاه، نهضةً شاملةً تصل ما بدأه الروّاد الأوائل، وتُعلي بنيانه بثقة واقتدار؛ فقد جعل جلالته، أيده الله تعالى، الاستثمار في الإنسان البحريني غايةً للمسيرة التنموية الشاملة، وأولى المعلّم والمتعلّم رعايته السامية، وحمل اسمه الكريم جائزة اليونسكو للتعلّم الرقمي والابتكار، شاهدًا على مكانة البحرين في مسيرة التعليم الحديث، حتى غدت المدرسة البحرينية منارةً تجمع بين أصالة الهوية الوطنية ومتطلبات العصر وتقنياته.

وتمضي هذه المسيرة بمتابعة حثيثة ودعم متواصل من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بنّ حمد آل خليفة، ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، حفظه الله، الذي يضع التعليم في صدارة أولويات العمل الحكومي، ويحرص على تطوير المنظومة التعليمية وجودة مخرجاتها، ويحتفي بالمتميزين من أبنائها، ومن ذلك لقاء سموه بمديري المدارس الحاصلة على ختم الجودة الذهبي، تقديرًا لجهود الهيئات الإدارية والتعليمية وما حققته من نتائج مشرّفة، ليبقى الطالب البحريني محور التنمية وغايتها.

ويقف على رأس وزارة التربية والتعليم اليوم رجلٌ عرفته الساحة التربوية مخلصًا لرسالتها، هو سعادة الدكتور محمد بن مبارك جمعة، وزير التربية والتعليم، رئيس مجلس أمناء مجلس التعليم العالي، الذي يواصل ترجمة الرؤية الملكية السامية وتوجيهات الحكومة الموقرة إلى برامج ومشروعات ملموسة، بكفاءة واقتدار وحرص ميدانيٍّ يلمسه المعلمون والطلبة في زياراته الدورية للمدارس، فيما يحمل صوت مملكة البحرين التربوي إلى المحافل الخليجية والدولية، ويقود العمل على دمج التقنية والذكاء الاصطناعي في التعليم مع الحفاظ على رسالة الفصل الدراسي وقيمه، ومضت الوزارة بقيادته نحو مزيدٍ من التطوير والتميز، وفاءً لإرث الهداية الأولى.

وإذا كان أهل المحرق قد أنشدوا قبل أكثر من قرن: «يا ربنا يا ذا المنن.. أكثر مدارس الوطن»، فإن تلك الدعوة قد استُجيبت، فامتلأت ربوع البحرين بالمدارس والجامعات، وتخرّج فيها جيلٌ بعد جيل من أبناء الوطن وبناته. فسلامٌ على عيسى الكبير الذي وضع بيده الحجر الأول، وجعل العلم سبيلًا إلى النهضة، وطوبى لمن حمل الأمانة من بعده، فمضى بمملكة البحرين نحو آفاقٍ أرحب، داعين المولى عز وجل أن يحفظ حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، ملك البلاد المعظم، وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة، ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، وأن يُديم على هذا الوطن نعمة الأمن والعلم والرخاء.

عميد كلية عبدالله بن خالد للدراسات الإسلامية

ميار طفلة مصر العروبة المذهلة



بقلم: المحامية د. هنادي بنت عيسى الجودر.

القراء الأعزاء،

مصْر وما أدراك ما مصْر!

تلك التي قال فيها أمير الشعراء (أحمد شوقي)

اختلاف النهار والليل يُنسي

اذكرا لي الصبا وأيام أُنسي

وسلا مصر هل سلا القلب عنها؟

أو أسى جرحه الزمان المؤسي

وطني لو شُغلت بالخُلد عنه

نازعتني إليه في الخُلد نفسي

واللغة العربية ، لغة القرآن ولغة الشعر العربي الأصيل، اللغة الأغنى بين لغات العالم والتي تحتوي دون غيرها من اللغات الحيّة على أكثر من 12 مليون كلمة في حين لم تستطع أي لغة أخرى أن تصل حتى إلى نصف هذا العدد، لذا فإنه من أكثر المواضيع التي تناولها المهتمون بالهوية العربية كان وما زال موضوع علاقة الأجيال المعاصرة باللغة العربية باعتبارها لغتهم الأم، باعتبارها تمثل هويتهم وانتماءهم وديانتهم، ونعلم جميعاً أن هذه العلاقة قد أصبحت هشّة جداً لدى كثير من أبناء الجيل المعاصر والذين اختار أولياء أمورهم لغات أخرى لتكون لغة أبنائهم الأولى وهجروا اللغة العربية حتى أصبحت ضعيفة لدى الأبناء أجيال المستقبل وحافظي إرث الماضي، لذا فقد أصبحت اللغة العربية في خطر حقيقي بسبب الإهمال وعدم تقدير أهميتها لدى كثيرين.

ووفقاً للعهدين الدوليين الخاصين بحقوق الإنسان وإن كفلت إلزامية التعليم الأساسي للأطفال إلا أنها في ذات الوقت كفلت حرّية الآباء في تربية أبنائهم وتعليمهم وفقاً لقناعاتهم الشخصية ومبادئهم وديانتهم وهي حرية مطلقة بما لا يُخالف النظام العام بعناصره، بما فيها حق اختيار المدارس التي يلتحق بها أبناؤهم، وكثيراً ما يلجأ الآباء إلى إلحاق أبنائهم بمدارس خاصة، تكون لغة التعليم الأساسية فيها هي لغة أجنبية، وبالتالي يتراجع نصيب الطفل من تعلّم اللغة العربية صغيراً، ولأن العلم في الصغر كالنقش في الحجر، فإن ما يُنقش في ذاكرة الطفل هي لغات غير لغته الأم، وهو أمر يقتضي وعياً وانتباهاً من أولياء الأمور باعتبارهم أصحاب القرار ومن يمتلكون حرّية تعليم أبنائهم.

ولكن يُضيء الأمل في وعي أصحاب القرار في بعض الدول من خلال تحفيز الأسر بصورة غير مباشرة إلى الحفاظ على اللغة العربية من خلال مبادرات مميزة كمبادرة تحدّي القراء العربي لمرحلة التعليم الأساسي والثانوي التي أطلقها سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حاكم إمارة دبي ونائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة عام 2015 لتحفيز وتشجيع جيل الأطفال والشباب في العالم العربي على القراءة باستمرار وممارستها كأسلوب حياة ذي فائدة مستمرة، ولم تقتصر المبادرة على فكرة القراءة فقط بل تتعدها إلى إعادة تربية الأجيال المشاركة والمتابعة تربية أكثر دقة وعمقاً من خلال إعمال الفكر الإنساني وتوظيفه بالتأمل والتدبّر والتفكير والتحليل وتنمية ملكة النقد والمقارنة والمقاربة والتعبير بطلاقة وفصاحة، وتنمية الوعي والتبادل الثقافي وصولاً إلى قبول الآخر بفكره وعمقه الثقافي والديني دون تمييز أو محاولة تغييره، بل بتفهّمه واستيعابه كما هو.

والجميل في نسخة 2026، أنه كان لمصر العروبة والإخاء النصيب في أن يلمع اسم إحدى بناتها الجميلات، حين فازت ابنة محافظة كفر الشيخ الجميلة ميار محمد رجب عثمان ذات الأحد عشر عاماً بالمركز الأول ولقب بطلة تحدّي القراءة العربي في دورته العاشرة لتحظى براعة ميار وسماتها الشخصية وجهودها المبذولة بإخلاص بتتويج يليق بطلاقتها وإتقانها وحضورها الذهني الطاغي بهذا الفوز اللائق والمُشرّف لأنه لم يكن فوزاً اعتيادياً كما لم تكن المسابقة نفسها اعتيادية فهي مسابقة تخاطب القلب العربي بلغته وهويته لتستحق أن تكون فخراً يُحتذى به، وسأقولها على صعيد شعبي بأن سعادتنا كانت تُضاهي سعادة مصر بفوز ابنتها، فنحن أهل البحرين عاشقون لمصر ولمواقفها ولدورها التاريخي سياسياً وعسكرياً وتعليمياً واجتماعياً وثقافياً وأدبياً وفنّياً وسينمائياً- حيث كان لها تأثير ثقافي وسياسي أسهم بصورة مباشرة وغير مباشرة في تشكيل الوعي الثقافي والسياسي في أجيال مختلفة من أبناء البحرين حتى الآن باعتبارها شقيقة كبرى للبحرين ولكونها السور الغربي الحامي للعرب جميعاً، فهي حاضنة ومُعينة ودرع حامية وفق أواصر العروبة والإخاء والتعاون والمصير المشترك، ولا شك أن الحديث عن مصر يتعدّى بكثير ما كُتب هنا فهي أكبر وأسمى بكثير من أي كلمات تُقال فيها.

وما كانت ميار إلا نموذجاً للجدّ والاجتهاد والعبقرية المصرية، وللجهد الذي بُذل بإخلاص وحبّ كما هو شأن وحال أكثر أهل مصر والذي أوصل أبناءها إلى مقامات عالمية كجائزة نوبل والكونجرس الأمريكي وغيرها، فهنيئاً لمصر أن لمع اسمها مجدداً في تحدي القراءة العربي وهنيئاً لمربّي ميار ومعلميها أن تطالهم آثار جائزتها تأكيداً لمقولة (لكل مجتهد نصيب).

وفيما يتعلق بحب مصر، لأسرَكم أعزائي، بشي خاص، اسم هنادي الذي أسمانيه والدي (رحمه الله) لم يأت من فراغ أبداً فقد كان لرائعة عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين (دُعاء الكروان) الفضل في اختياره لي، ثم جاء نطق سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة التي كانت حبيبة الكل بهذا الاسم ليُعزز اختيار الاسم حين نادت مراراً وتكراراً مساءلة والدتها عن اختها زهرة العُلا: (فين هنادي يمّاي؟!)

layalialshoug@gmail.com